الدرس السادس: التغيير الدلالي ومظاهره

أولا-مفهوم التّغير الدلالي

تُعد دراسة التّغير الدّلالي المحور الرئيس للدّرس الدّلالي الحديث، وبخاصة علم الدّلالة التّاريخي، فقد كان أهم ما شغل علماء اللّغة موضوع تغيّر المعنى، وصور هذا التّغير، وأسباب حدوثه ، والعوامل التي تتدخل في حياة الألفاظ وموتها، إذ يرون أنّ دلالة المفردات هي أكثر جوانب اللّغة عُرضة للتّغير،

ثانيا- مظاهر التّغير الدّلالي

للتّغير الدّلالي مظاهر وأعراض، وقد لخصها إبراهيم أنيس في كتابه في خمس مظاهر نذكر منها :

1-تغيّر الدّلالة بالاتّساع(تعميم الدّلالة)

أي تعميم الخاص، ويتم ذلك بتوسيع معنى اللّفظ ومفهومه أو نقله من معنى الخاص الدّال عليه، إلى معنى أعم وأشمل، وبه تصبح الكلمة تدل على عدد من المعاني أكثر مما كانت تدل عليه من قبل أو تدل على معنى أعم من معناها الأول، ويعني توسيع المعنى أن يصبح عدد ما تشير إليه الكلمة أكثر من السابق[1] ، وبمعنى آخر هو تحويل الدّلالة من معنى ضيق إلى معنى أوسع، ومن أمثلته :

-كلمة **(السيارة)** كانت في الماضي تعني القافلة، ولكن توسع في معناها، وأصبحت تدل الآن على وسيلة النقل المعروفة .

– كلمة **(قطار)** تدل عل قطار الإبل تشدّ على نسق واحد خلف واحد، وتوسع في معناها لتدل على قطار السّكة الحديديّة.

2- تغيّر الدّلالة بالتّضييق(تخصيص الدّلالة)

وهو ضد التّوسيع ونعني به" تخصيص العام أو تخصيص مجال الدّلالة وتحويلها من المعنى الكلي إلى المعنى الجزئي، ويسمى أيضا بتقليص الدّلالة، والتّخصيص يعني قصر المعنى العام على بعض أفراده، وتضييق شموله، وذلك أنّ مدلول الكلمة يتغير تبعًا للحالة التي يكثر فيها استخدامها، كما أنّ دلالة الكلمة التي كانت تدل على معانٍ كلية عامة لتصبح تدل على معنى خاص "[(2)] .

وباختصار نعني بالتّخصيص، كما يقول عوض حيدر " هو أن يضيق معنى الكلمة على مرّ الزّمان، فتتحول دلالتها من معنى كلي إلى معنى جزئي أو يقلل عدد المعاني التي تدل عليها، أي أنّ الكلمة أصبحت بالتّخصيص دالة على بعض كانت تدل عليه من قبل" [(3)]، ومن أمثلته:

– كلمة (**الحج**) إذْ كانت تعني القصد، فيقال: حج فلان أي قدم، وحججت فلانًا أي: قصدته، ثم استقر بها في القصد إلى مكة للنّسك، والحج إلى البيت خاصة.

-كلمة (**الحرمة**) بعد أن كانت تطلق على كل محرم لا يمس، ثم صارت تدل فقط على المرأة.

-كلمة (**الصلاة**) كانت تدل على الدّعاء، ثم أصبحت تدل في الإسلام على الأقوال والأفعال المخصوصة المفتتحة بالتّكبير، والمختتمة بالتّسليم بشرائط خاصة.

3-انحطاط المعنى

فكثيرًا ما يصيب الدّلالة بعض الانهيار أو الضعف، فتراها تفقد شيئا من أثرها في الأذهان، أو تفقد مكانتها بين الألفاظ التي تنال من المجتمع الاحترام والتّقدير [4]، وقد تطرق عبد الجليل منقور لهذا المظهر فقال " ... قد تتردد الكلمة بين الرقي والانحطاط في سلم الاستعمال الاجتماعي، بل قد تصعد الكلمة الواحدة إلى القمة، وتهبط إلى الحضيض في وقت قصير"[5] ، ومن أمثلته:

– كلمة (**الحاجب**) التي كان لها دلالة سامية أثناء حكم العرب بالأندلس، ثم انحطت في العصر الحديث، وأصبحت تستعمل الآن في معنى الخادم أو حارس الباب.

– وكان معنى (**اليد الطويلة**) السخاء والكرم كما في الحديث، ثم صارت تدل على السارق فيقال: فلان يده طويلة أي سارق.

4- رقي المعنى

فكما يحصل انحطاط في بعض دلالات الألفاظ يحصل هناك رقي، ولكنه أقل حدوثا وشيوعا من الانحطاط، ويسمى هذا النوع من التطور بسمو الدلالة أو التغير المتسامي*[6] ، ومثلما عبر عنها إبراهيم أنيس" قد يسعد اللفظ فترقى دلالته، ندرة هذا في تطور الدلالات"[7]، ومن أمثلته:

– كلمة (**رسول**) التي كانت تدل على من يرسل في أي أمر ، لكن عندما جاء الإسلام أخذت مفهومًا ساميًا، فأصبحت تدل هذه الكلمة على الشخص الذي أوحي إليه برسالة وأمر بتبليغها.

– كلمة **"النور"** التي كانت تعني في الأصل الضوء المادي، ثم أصبحت تعني أيضاً الإيمان أو الهداية.

5- انتقال المعنى

وهو تحويل دلالة اللّفظ من مجال آخر على غير وجه الخصوص أو العموم، ويتم ذلك عن طريق المجاز أو الاستعارة أو الكناية، ومن الكلمات التي تغيرت دلالتها عن طريق الانتقال:

– لفظة **"قلب"** التي كانت تعني في الأصل العضو العضلي الموجود في الصدر، ثم أصبحت تعني أيضاً العقل أو العاطفة أو الإرادة.

– لفظة (**الجمال**) انتقالها من الدّلالة الحسيّة إلى الدّلالة المجردة، إذ انتقلت من دلالتها على الإبل إلى الدّلالة على الجمال في الأشياء المتعددة.

ثالثا: أسباب التغير الدلالي

تغير المعنى ظاهرة شائعة في كلّ اللّغات يلمسها كل دارس لمراحل نمو اللّغة وأطوارها التّاريخية" وهذه التّغيرات تحدث في اللّغة دائما، لأنّها نظام للتّواصل بين النّاس مرتبطة بأحوالهم وظروفهم الثقافية والاجتماعية والعقلية، وهذه الأحوال والظروف لا تسير على وتيرة واحدة ، فالأسباب هي الظروف المهيئة للتّغير، بينما الطرق هي الوسائل والخطوط التي يسلكها التّغير"(8).

رابعا-عوامل التغير الدلالي ومظاهره

ويمكن تصنيف هذه العوامل إلى ثلاثة عوامل رئيسية:

أ- **العامل الاجتماعي والثقافي**: قد تتسع الدلالة وقد تضيق بحسب الاستعمال، **فاللغة** «وجدت ليتداولها الناس، وليتبادلوا بها في حياتهم الاجتماعية كما يتبادلون بالعملة والسلع، غير أن التبادل بها يكون عن طريق الأذهان والنفوس تلك التي تتباين بين أفراد الجيل الواحد والبيئة الواحدة» ، فألفاظ اللغة لا تبقى على حال واحدة، بل تتغير دلالتها بتغير نمط التعبير، والحاجة إلى الاستعمال وطبيعة العصر، **والأمثلة في اللغة العربية كثيرة** خاصة بعد مجيء الإسلام، فمنها ما عُمِّمَ معناها، أو خُصِّصَ، أو نقل إلى معنى آخر، ومن ذلك ألفاظ العبادات: **كالصلاة، والزكاة، والحج**... فقد خصص مدلول كل لفظة منها بعد أن كان عاما، ثم قد يعمّم مدلول اللفظة بعد أن كان خاصا، ككلمة **"البأس"**، فهي في أصل معناها تدلّ على الحرب، ثم اتّسع مدلولها ليشمل كلّ شدّة.

ومن **العوامل الاجتماعية** التي تؤدي إلى التغير الدلالي، الانتقال الحضاري، **فكلمة القطار** –على سبيل المثال- كانت في السابق عبارة عن مجموعة من الإبل في السفر، أمَّا في العصر الحديث أصبحت تطلق على الآلة المعروفة للسفر.

ب- **العامل النفسي**: قد يتمّ تغيير دلالات بعض الألفاظ المكروهة إلى دلالات مستحسنة، فكأنّ اللامساس

يؤدي إلى التحايل في التعبير، أو ما يعرف بالتلطف، وهو في الحقيقة إبدال الكلمة الحادة بالكلمة الأقل حدّة، وهذا النزوع نحو التماس التلطف في استعمال الدلالات اللغوية هو السبب في تغير المعنى.

ج- **العامل اللغوي**: إنّ وجود فجوات معجمية يؤدي إلى الاقتراض اللغوي أو **الاشتقاق، أو المجاز،** كقولنا: **أسنان المشط، أرجل الكرسي**... وقد يؤدي انتقال مدلول بعض الكلمات من معناها الحقيقي إلى المعنى المجازي إلى اضمحلال المعنى الحقيقي، ويصبح مجازه كالحقيقة، مثال ذلك كلمة (**الوغى**) مدلولها في الأصل هو اختلاط الأصوات في الحرب ، ثم انتقل ليُعَبِّر به عن الحرب نفسها.

خامسا -خصائص التغير الدلالي:

تتمثل خصائص التغير الدلالي فيما يلي:

أ- سير التغير الدلالي للكلمة يكون بطيئا، خاصة في اللغة العربية.

ب- التغير يحدث بطريقة غير مباشرة (تلقائية).

ت- وجود صلة بين الدلالة الجديدة للكلمة، ودلالتها الأصلية –قبل تعرضها للتغير-

ث- التقيد بالزمان والمكان في التطور ذاته لدلالة الكلمة.

ج- إن حدوث التغير في بيئة ما يؤثر على أفراد تلك البيئة.

ح- ارتباط التغير الدلالي باللهجات العربية، وتعتبر هذه أهم خاصية من خصائص التغير الدلالي.

خ- ارتباط التغير باللحن.

الهوامـــــــش

1- ينظر: عبد القادر أبو شريفة وآخرون، علم الدلالة والمعجم العربي، دار الفكر ، ط1، 1989 ، عمان، الأردن ، ص 45.

-2 أحمد مختار عمر، علم الدلالة ، كلية دار العلوم، ط1، 1985، جامعة القاهرة ، ص 147.

3-عوض حيدر، علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، مكتبة الآداب للطباعة والنشر، ط1، 2005، ص 75.

4-إبراهيم أنيس،دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1984، مصر ، ص 156.

5-عبد الجليل منقور، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث، ديوان المطبوعات الجامعية،د.ط 2010، بن عكنون ، الجزائر، ص 72.

6 عبد القادر أبو شريفة وآخرون، علم الدلالة والمعجم العربي، ص 45.

7-دلالة الألفاظ، ص 158.

8-سالم الخماش، علم الدلالة عند العرب دراسة مقارنة مع السيمياء الحديث، دمشق aru@net.sy.

* نوع من التغير الدلالي الذي يحدث عندما ينتقل معنى الكلمة من معنى مادي أو حسي إلى معنى معنوي أو رمزي. ويحدث هذا التغير عادةً بسبب عوامل اجتماعية أو ثقافية، مثل تطور اللغة أو التغيرات في القيم والأخلاق.